نظرات دقيقة

حول (بعض وكل) في الأساليب العربية

د . عبد الرحمن محمد اسماعيل

يضيّق تراثنا العربي ويصعبه على أجيالنا أولئك الذين ليست لهم إلمامة به ، أو سعة اطلاع عليه ، حيث لم يتمرسوا بمقاييسه ، ولم يحيطوا بها علما ، ولم يدركوا أسراره ولطائفه ، ومن هنا تراهم يتبرمون منه تارة ، أو يصفونه بأنه صعب المرتقى وعر المسالك تارة أخرى ، والحقيقة غير مايفهمون ، فقد ثبت للباحثين سعة العربية ، واستقر ذلك لدى العرب والعجم ، كما تعارف عليه أئمة العربية وروادها الأوائل ، وتواصوا به فيما بينهم .

يقول شيخ اللغويين والنحويين الخليل بن أحمد الفراهيدي : لغة العرب أكثر من أن يلحن فيها متكلم ، ويقول الأخفش الأكبر عبد الحميد بن عبد المجيد : أنحى الناس من لم يلحن أحدا . ويقول الكسائي : على ما سمعت من كلام العرب ليس أحد يلحن الا القليل .[1]

ولما كان (لبعض وكل) طرائق شتى في الاستعمال العربي ، منها ما اتفق عليه العلماء ، ومنها ما اختلفوا فيه ، بل تعدى ذلك الى تلحين بعضهم بعضا ، وهم على درجة من العلم والفكر والأدب ، ثم انتقل ذلك الصراع الى المحدثين من المثقفين ـ قصدتُ أن أكتب في ذلك مايُجَلّي الصواب ، ويبتُّ أسباب الخلاف ، ويفيد منه القارئون والباحثون .

---

(١) المدخل لابن هشام اللخمي : ١٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أولا : معنى بعض وكل :

بعضُ كل شيء : طائفة منه سواء قلت أو كثرت ، يقال بعضُ الشرِّ أهونُ من بعض .[٢]

وكل تفيد الاستغراق سواء أكانت للتأكيد أم لا ، والاستغراق لأجزاء مادخلت عليه ان كانت معرفة ، ولجزئياته ان كانت نكرة[٣] ولفظها مفرد ، ومعناها جمع ، لذلك يجوز الإخبار عنها بالافراد حملا على اللفظ نحو : كل قائم ، كما يعود الضمير عليها مفردا مراعاة للفظ كما في قوله تعالى : ﴿ قل كل يعمل على شاكلته ﴾ [سورة الاسراء ، الآية : ٨٤] ، وبالجمع كما في قوله تعالى : ﴿ كلٌ له قانتون ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ١١٦] ، فقانتون خبر (كل) حملاً على معناها ، ويعود الضمير عليها جمعا كذلك نحو : كلٌّ حضروا ، يقول ابن جنى : وكأنه حمل عليه هنا : (أي على المعنى) ، لأن كلا فيه غير مضافة ، فلما لم تضف إلى جماعة عوّض من ذلك ذكر الجماعة في الخبر ، ألا ترى أنه لو قال : وكل له قانت ، لم يكن فيه لفظ الجمع البتة ، ولما قال : ﴿ وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ﴾ [سورة مريم ، الآية : ٩٥] ، فجاء بلفظ الجماعة مضافا إليها استغنى به عن ذكر الجماعة في الخبر .[٤]

ثانيا : أحوال بعض وكل في الاستعمال :

ترد بعض وكل في الأساليب العربية على ثلاثة أحوال :

---

(٢) انظر تاج العروس للزبيدي : ٨/٥ .

(٣) انظر تاج العروس للزبيدي : ١٠٠/٨ ، ورسالة الشيخ الصبان على البسملة : ٣

(٤) انظر الخصائص لابن جنى : ٣٣٥/٣ ، ٣٣٦ ، وتاج العروس للزبيدي : ١٠٠/٨ ، ومغني اللبيب لابن هشام : ١ / ١٦٦ وما بعدها ، والمخصص لابن سيده ١٧ / ١٣١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأولى :

أن تستعملا مجردتين من (أل) والإضافة نحو قوله تعالى : ﴿ قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٣٦] وقوله : ﴿ وله من في السموات والأرض كلٌّ له قانتون ﴾ [سورة الروم ، الآية : ٢٦] ، فبعض الثانية في آية البقرة ، وكل في آية الروم مجردتان من (أل) والإضافة ، والتنوين فيهما عوض عن المضاف إليه . غير أن كلا اذا قطعت عن الاضافة جاز الإخبار عنها بالمفرد مراعاة للفظها ، وبالجمع مراعاة لمعناها كما ذكرتُ ذلك قبلا .

قال ابن مالك وغيره من النحاة إن الافراد على اللفظ ، والجمع على المعنى ، وهذا يدل على أنهم قدروا المضاف إليه المحذوف في الموضعين جمعا ، فتارة روعي كما اذا صرح به ، وتارة روعي لفظ كل . أ هـ . قال السهيلي : وفي هذه الحالة تلزم كل صدر الكلام نحو : كل يقوم ، وكلا ضربت ، وبكل مررت ، ويقبح أن تقول : ضربت كلا ، ومررت بكل .[٥]

الثانية : أن تستعملا مضافتين :

أما بعضٌ فقد وردت مضافة في القرآن إلى المفرد النكرة نحو قوله : ﴿ قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٥٩] ، والمعرفة نحو قوله : ﴿ ليذيقهم بعض الذي عملوا ﴾ [سورة الروم ، الآية : ٤١] ، والجمع المعرف نحو قوله : ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض ﴾ [سورة الأنفال ، الآية : ٧٥] ، وقوله : ﴿ يأيها الذين

(٥) انظر تاج العروس للزبيدي : ١٠٠/٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ﴾ [سورة المائدة ، الآية : ٥١] .

وأما كل فتضاف الى النكرة مفردةً نحو قوله : ﴿ وكل شيء فعلوه في الزبر ﴾ [سورة القمر ، الآية : ٥٢] .

ومثناةً نحو قول الفرزدق :

وكلُّ رفيقي كلَّ رَحْلٍ وإن هما تعاطى القنا قوماهما أخوانِ

وجمعاً مذكراً نحو قول لبيد :

وكلُّ أناسٍ سوف تدخل بينهم دويهيةٌ تصفرُّ منها الأناملُ

ومؤنثاً نحو قول الآخر :

وكلُّ مصيبات الزمان وجدتُها
سوى فرقة الأحباب هينةُ الخطبِ[٦]

وتضاف الى المعرفة وكثيرا مايكون المضاف اليه جمعاً نحو قوله تعالى : ﴿ وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ﴾ [سورة مريم ، الآية : ٩٥] ... ونقل عن أبي حيان قوله : لايكاد يوجد في لسان العرب كلهم يقومون ، ولا كلهن قائمات وان كان موجودا في تمثيل كثير من النحاة . اهـ ... كما نقل عن ابن السراج امتناع اضافة كل الى المفرد المعرف بالألف واللام التي يراد بها العموم[٧] . هذا ونقل اضافتها الى المفرد العلم نحو : كل زيد حسن : أي كل جزء من أجزائه حسن (رسالة الصبان على البسملة : ٣)

---

(٦) انظر مغني اللبيب لابن هشام : ١٩٦/١ وما بعدها ، وتاج العروس للزبيدي : ١٠٠/٨ بتصرف .

(٧) انظر التاج للزبيدي : ١٠٠/٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فاستعمال بعض وكل في الحالين السابقتين لاخلاف فيهما حيث اتفق عليهما النحويون واللغويون لكثرة استعمالهما في أفصح الكلام وفصيحه ، ووفرة الشواهد الدالة على ذلك شعراً ونثراً .

الحالة الثالثة :

أن تستعملا بالألف واللام ، وفيها يحتدم الخلاف بين النحاة فيجيزها فريق وهو القياس والصواب ، ويرفضها فريق آخر ، ولا حجة لهم الا لأنها لم ترد في القرآن الكريم ، ويحسن بنا أن نعرض لآراء النحاة أولاً ثم نختم برأينا معزّزاً بالقياس والسماع ، كي يقف القارىء على وجهات النظر المختلفة ويستبين له الحق والصواب .

قال صاحب تاج العروس : ويقال : كل وبعض معرفتان ، ولم يجيء عن العرب بالألف واللام وهو جائز ، لأن فيهما معنى الاضافة ، أضفت أم لم تضف ، هذا نص الجوهرى في الصحاح .

وقال أبو حاتم : وقد استعمل الناس الألف واللام في كل وبعض حتى سيبويه والأخفش في كتابيهما لقلة علمهما بهذا النحو ، فاجتنب ذلك فانه ليس من كلام العرب ، وكان ابن درستويه يجوِّزُ دخول الألف واللام على كل وبعض مع مخالفة جميع نحاة عصره له .[٨]

وقال السيوطي : وفي كتاب ليس لابن خالويه[٩] : العوام والخواص يقولون : الكل والبعض ، وانما هو كل وبعض لاتدخلها الألف واللام ، لأنها معرفتان في نية الاضافة وبذلك نزل القرآن الكريم ، وكذلك هو في أشعار القدماء .[١٠]

---

(٨) انظر التاج للزبيدي : ١٠٠/٨ .

(٩) لم أجد ذلك في كتاب ليس الذي حققه الاستاذ احمد عبد الغفور عطار .

(١٠) انظر المزهر للسيوطي ١٠٥/٢ ، ١٠٦ ، وتاج العروس للزبيدي ٨/٥ ، المخصص لابن سيده ١٣١/١٧ ، وما بعدها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال الراغب الأصفهاني في المفردات ، ولم يرد في شيء من القرآن ، ولا في شيء من كلام العرب الفصحاء الكلُّ والبعضُ ، وانما ذلك شيء يجري في كلام المتكلمين والفقهاء ومن نحا نحوهم[١١] ، الى غير ذلك مما يضيق عنه المجال .

وإني أجتزىء القول في مناقشة ماقد سلف من آراء المانعين دخول الألف واللام على بعض وكل في الأسطر الآتية :

- ان دعوى أنها معرفتان بالاضافة ، لها ماينقضها حيث ذهب أبو علي الفارسي الى أنها نكرتان قياسا على نحو : خذ ربعا وثلثا ونصفا وهي نكرات بالاجماع[١٢] والتنوين فيها عوض عن المضاف اليه ، واضافتها ملحوظة في المعنى مع تنكيرها .[١٢]

- ودعوى أنها لم يردا في القرآن الكريم وأشعار القدماء فلا تنهض حجة لأصحابها لأنه قد ورد في كلام العرب ما ليس في القرآن ، كما ورد به ما لم تقله العرب ، وليس القرآن كل كلامهم ، وان كان قمته ، ولسنا بصدد ضرب الأمثلة عليه ، كما أنه ورد في شعر القدماء مايثبت ذلك سماعا كما لم يمنع منه قياس نحويٌّ نحو قول المرقش الأصغر :

شهدت به عن غارة مسبطرَّة
يطاعنُ بعض القوم والبعض طوحوا[١٣]

فأل دخلت على بعض في بيت المرقش ، والقياس يعضده ويسانده لأن بعضا وكلا اسمان معربان والأسماء المعربة تدخل الألف واللام عليها قال

(١١) المفردات للراغب الاصفهاني : ٤٣٧ .
(١٢) المقنع في الدراسات النحوية للباحث : ٢٩ .
(١٣) جمهرة أشعار العرب/٢٠١ لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابن مالك :

بـــالجر والتنـــوين والنـــدا وال ومسنـــــد لـــلاسم تمييز حصـــل

واذا كان القياس يبيح ذلك ، ثم جاء السماع به كان ذلك تأكيدا لصحة دخول (ال) عليهما ، ولو لم يرد سماع فلا يلزم من عدمه عدم الاطراد مع وجود القياس ، ولا يجوز أن يقال بالشذوذ فيما وجد له وجه من القياس .

هذا وقد سبق أن ذكرت أن سيبويه والأخفش ، ثم ابن جنى قد أدخلوا الألف واللام على كل وبعض في كتبهم ، ولا يخفى على امثالهم خطورة ذلك .(١٤)

لهذا أرى صحة دخول الألف واللام على كل وبعض ، قياسا وسماعا ، وليست (أل) هذه للتعريف كما يتوهم ، بل عوض من المضاف اليه المحذوف ، والتعويضُ (بال) عن المضاف اليه مذهبُ الكوفيين ، وجرى عليه المفسرون في قوله تعالى : ﴿ فان الجنة هي المأوى ﴾ [سورة النازعات ، الآية : ٤١] أي مأواه ، وقوله تعالى : ﴿ نُجبْ دعوتك ونتبع الرسل ﴾ [سورة ابراهيم ، الآية : ٤٤] : أي رسلك ، قال ابن مالك : وعليه يحمل قوله تعالى : ﴿ جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ﴾ [سورة ص ، الآية : ٥٠] أي : أبوابها(١٥) فأل في الآيات الثلاث دخلت تعويضا لا تعريفا .

وحيث ورد التعويض بأل من المضاف اليه في كلام الله وكلام

---

(١٤) انظر استعمالات ابن جني في الخصائص : ٣٣٤/٣ .

(١٥) انظر البرهان للزركشي ٣٨/٤ ، وشرح شواهد الشافية للبغدادي/١٢٤ ، تهميشة/٢ ، ١٢٨ ، ١٣٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العرب فان ذلك يؤيد بل ويؤكد صحة دخول (أل) العوضية على بعض وكل رغم توقف بعض النحاة في ذلك ، كما ذهب الى هذا الذي بدا لي الامام اللغوّي أبو عبد الله محمد بن الطيب الفاسي (١١١٠ ـ ١١٧٠) شيخ السيد مُرْتَضَى الزبيديّ صاحب تاج العروس ، قال الأزهريّ : النحويون أجازوا الألف واللام في بعض وكل ، وان أباه الأصمعي ، قال الزبيديّ : قال شيخنا : أي بناء على أنها عوض عن المضاف اليه .(١٦)

ومما تقدم يتبين لنا الآتي :

أ ـ ان كلا وبعضا اذا قطعتا عن الاضافة لحقهما التنوين عوضا عن المضاف اليه المحذوف نحو قوله تعالى : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ... ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٥٣] أي على بعضهم ، فحذف المضاف اليه وعوض عنه التنوين ، ونحو قوله تعالى : ﴿ قل كل يعمل على شاكلته ... ﴾ [سورة الاسراء ، الآية ٨٤] أي قل كل انسانٍ ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ... ﴾ [سورة الاسراء ، الآية : ١٣] فحذف المضاف اليه من الآية الاولى ، وعوض منه التنوين .

ب ـ اذا دخلت (أل) على بعض وكل حذف المضاف اليه لأنها عوض منه ، وهم لايجمعون بين العوض والمعوض منه فنحو : البعض حضر : أي بعضهم حضر ، ونحو :الكل قائم أو قائمون : أي كلهم قائم أو قائمون ، فحذف المضاف اليه ، وعوض عنه بـ (أل) . فأل تقابل التنوين في الاستعاضة بها عن المضاف إليه المحذوف .

وبعد : فهذه هي لغتنا الخالدة ، يبلى الزمان وهي متجددة ، وتكل

(١٦) انظر تاج العروس للزبيدي : ٨/٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الألباب وهي فتيّة ، وتتحاتّ الأفهام وهي كالطود راسخة شامخة لا يمسها سوء ، وعلينا أن نتفانى في إحيائها بالبحث وأن نفيَها حقَّها بالدرس ، فلقد شرفنا الله بها حيث أنزل بها وحيه ، وأشغل بها عباده من حيث كانت الى أن تقوم الساعة ، والحمد لله رب العالمين .

مكة المكرمة ـ جامعة أم القرى عبد الرحمن محمد اسماعيل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net